غنت في مهرجان الأغنية العربية بدار الأوبرا وفازت بالمرتبة الثانية

غادة شبير: أغني الجميل وأتجاهل شروط السوق

زهرة مرعي

■ لماذا اختيارك درب الغناء الصعب؟

-لأن الله منحني موهبة الصوت الذي اكتشفته وأنا صغيرة على مقاعد الدراسة، وعندما انهيت المدرسة انتسبت الى جامعة الروح القدس في «الكسليك» ونلت اجازة في علوم الموسيقى ودبلوماً في الغناء الشرقي.

■ دراسة أصول الغناء خطوة أولى في طريق الاحتراف.. فهل كان القرار سهلاً؟

-عارضني الأهل في البداية لأن الاجواء الفنية السائدة هي غير مشجعة، وخصوصاً والدي الذي كان يخشى على مستقبلي ويرغب في ألا أخوض غمار هذا الدرب الصعب لكن، في المقابل، وجدت التشجيع من والدتي وإخوتي، ورويداً رويداً اقتنع والدي بالأمر، خصوصاً عندما سلكت الدرب الصحيح الذي يرتكز على العلم والمعرفة.

■ ماذا عن طفولتك؟

-والدي يمتاز بالصوت الجميل وبالاحساس المرهف، ويحرص على اقتناء الكثير من كنوز الغناء الشرقي لأم كلثوم وعبد الوهاب وقد أغنى ذاكرتي -وايضاً ذاكرة الأسرة -بتراثهما ولم يكن يسمح للانتاج الحالي بأن يتسلل الى اذهاننا سواء بالارادة او خلسة.

■ مسيرتك معاكسة لأبناء جيلك الذين ينطلقون عملياً، ومن ثم يعودون للدراسة خجلاً من الجهل؟

-هم المعاكسون، وأنا أسير في الطريق الصحيح. الظهور أمام الجمهور يجب ان يدعم بالثقة والعلم. وليس صحيحاً ان يصبح احدهم نجماً ومن ثم ينتسب الى معهد موسيقي ليتلقى الملاحظات من استاذه، فالطالب في قسم الموسيقى والغناء الشرقي عليه ان يتسلح بالصبر، لأن سنوات الدراسة طويلة.

■ ألا تسرق الدراسة الطويلة وهج النجومية برأيك؟

-مؤكد.. ابناء جيلي في الفن حققوا شهرة لم أصل اليها بعد. قد أكون التزمت جانب العلم نظراً لاحساسي بخواء وتفاهة معظم الانتاج الفني الحالي، واعتبر ان العلم والدراسة اتاحا لي حضوراً مختلفاً، ومنها تنظيم حفل «موسيقى الخماسي الشرقي» الذي أعدت من خلاله التراث الغنائي الشرقي في لبنان والوطن العربي، وحالياً نستعد لحفل ثان. انه طريق يؤدي الى الشهرة رويداً رويداً، وهو يختلف عن الطرق الأخرى لأنه يرتقي ويرتفع ولا يقابله هبوط.

■ من هو جمهور التراث والطرب الأصيل بحسب ملاحظتك؟

-الجمهور فئتان.. فئة ترغب بالتراث والطرب، وآخر يشجع الأغنية المعاصرة التي يتم تسويقها اليوم.

■ هل أنت راضية عن الحضور الذي حققته اليوم؟

-بالطبع لا.. كان مفترضاً ان يكون انتشاري أوسع بكثير. لقد أعطيت الدراسة وقتاً كبيراً، وحالياً أرى لزاماً عليّ السير بوتيرة أسرع.. قريباً، تصدر لي اغنيتان ضمن اسطوانة «سي. دي» تضم قطعاً موسيقية، وهما من كلمات وألحان الشاعر والفنان نديم محسن في باكورة انتاجه في عالم التلحين. كما اني مثلت لبنان في الصيف الماضي من خلال المشاركة بمهرجان الأغنية العربية في القاهرة، وفزت بالمرتبة الثانية.. وأغنية «حبيبي مسهرني الليل» التي أديتها في القاهرة كانت من كلمات نبيل ابو عبدو وألحان زياد بطرس. كما سبق وأديت اغنية وطنية بمناسبة عيد الجيش، وبذلك يبلغ عدد اغنياتي الخاصة اربعاً.. الى الآن.

■ الفنان المتمكن من العلوم الغنائية والموسيقية، هل يصبح اختياره للأغنية اكثر دقة؟

-عند اختياري المشاركة في مهرجان القاهرة كان عليّ ان اختار كلام ولحن الاغنية، وبالتالي ان اقتنع بهما، فالمنافسة شديدة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد المشتركين الـ(١٨٢) الذين يمثلون الوطن العربي كله.. اخترت من قصائد الشاعر نبيل ابو عبدو كلاماً عاطفياً باللهجة اللبنانية، ثم كان نقاش حول اللحن مع الفنان زياد بطرس، ويومذاك تمنيت عليه ان يكون اللحن على مقام «الرصد» أو «البياتي» أو «الصبا»، وان يدخل اليه «الليالي»، ومن ثم ان يتيح لي

■ عاكست السائد في عالم الغناء والتزمت الطريق الصحيح.. غادة شبير تملك الصوت الجميل، لكنها قررت اثراءه بالعلم والمعرفة عبر دراسة اصول الغناء والعزف على البيانو والعود.. سنوات طويلة أمضتها «غادة» في معهد الموسيقى الشرقية في جامعة الروح القدس - الكسليك، ونالت اجازة في علوم الموسيقى، ودبلوما في الغناء الشرقي، وهي اليوم استاذة في المعهد نفسه، وايضاً في المعهد الموسيقي الوطني اللبناني.

وتعرف غادة شبير ان انحيازها الى العلم اولاً أبعدها عن تحقيق حضورها في دنيا الاغنية الخاصة، لكن الندم لم يراودها يوماً، خصوصاً أن شروط النجومية الحالية لا تتوافق مع اولوياتها الشخصية، ومنها، تمثيلها لبنان في مهرجان القاهرة للأغنية العربية في آب (اغسطس) ١٩٩٧ حين احتلت المرتبة الثانية ولاقت تشجيعاً كبيراً لم تكن تتوقعه.

وفي غمرة استعدادها لاطلاق اغنيتين جديدتين التقتها مجلة «فن» وكان هذا الحوار:

■ ماذا عن الاغنيتين الجديدتين؟

- انهما - كما ذكرت - من كلام وألحان الشاعر نديم محسن. الأولى فكرتها جديدة نسبياً وتحكي عن حياة كبار السن، وأنا أفكر بتصويرها فيديو كليب لاحقاً.. أما الثانية فهي رومانسية وكلامها بريء.

■ يبدو انك تتميزين بأسلوب صعب في اختيار اغنياتك؟

- لم أكن أدرك هذا الواقع، وكثيراً ما يسألني طلابي رأياً بأغنية سبق وسجلوها. وعندما اسمعها اتساءل بيني وبين نفسي كيف يرتضون غناء هذا الكلام او اداء هذا اللحن، ودائماً يكون ردي لهم بأن يكون خيارهم التالي أفضل.

وتضيف غادة شبير:

- الاغاني الحالية تحولت الى عدوى حيث اغلبها لا يحمل شروط الاغنية الصحيحة، ومع ذلك نجد المغنين وهم يتابعون طريقهم فيها، معتقدين انهم على صواب، خصوصاً أنهم لا يعرفون شيئاً من التراث، ولا يدركون أهمية المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

■ ما الذي يحول بينك وبين انتاج اكثر كثافة؟

- انه الانتاج الذي يعطي الأولوية والافضلية لمن يمتهنون غناء المطاعم وهو واقع أرفضه ولا يرضيني. كما ان شركات الانتاج تتبنى من حقق شهرة محددة. ولمحطات التلفزيون اعتباراتها في تسويق الفنان، فهي تعتمد على شكله وملابسه، ومن ثم يأتي صوته في الدرجة الأخيرة.. شخصياً، لا أمتلك تلك الشروط، ولا أتحرك في اطارها.

■ ترفضين شروط السوق؟

- بكل بساطة نعم.. ارفض الصعود الى المسرح عارية الكتفين بثوب قصير وملتصق بجسدي. اعتني بأناقتي الى حدود البساطة والشياكة وأصعد الى المسرح ليتابع الجمهور صوتي وليس اي شيء آخر، والفارق كبير بين الترتيب والاغواء او الاغراء.

■ هل تسعين لمزيد من الانتشار؟

- نعم.. اطمح لعمل متواصل، شرط وجود الانتاج. قبل فترة من الزمن طلب مني تنفيذ (سي.دي) ديني، فأنهيته خلال شهرين.. حفظت الاغاني واللحن وكنت مسؤولة عن العمل بالكامل، وهذا دليل على ان وجود الانتاج يؤدي الى عمل.

■ هل فاجأتك جائزة مهرجان القاهرة؟

- صحيح.. فعند سفري لم اكن بانتظار النجاح، وقد نمى الى سمعي أن فوز لبنان ليس سهلاً. لكن بمجرد وصولي الى القاهرة، ومتابعتي للأغاني المشاركة في المهرجان، وجدت (الأغاني) أقل بكثير مما كنا نحمله نحن، وان اكثر المشاركين ليسوا على دراية بعلوم الغناء والموسيقى. فبدلت نظرتي كلياً، وبصدور النتائج وفوز لبنان بالجائزة الأولى التي نالها الزميل محمد العتر، والجائزة الثانية التي نلتها أنا، تأكد احساسي.

■ هل حصدت في هذا المهرجان شهادات مميزة؟

- لقد غنيت في دار الأوبرا في القاهرة بدعوة من أمين عام المهرجان، مستشار دار الاوبرا السيدة رتيبة الحفني، التي استمعت الى غنائي خلال مؤتمر للموشحات نظمته جامعة الكسليك، فأعجبت بصوتي ووصفته بـ«الاسمهاني».. وعندما سافرت الى مصر، غنيت «كل ده كان ليه» للاستاذ محمد عبد الوهاب، اضافة الى مجموعة من الأغاني والمواويل اللبنانية. لقد وجدت من السيدة الحفني كل اهتمام وتشجيع.

■ دخلت مصر من الباب النخبوي الثقافي وليس من الباب الشعبي الجماهيري، فكيف بامكانك استثمار هذا النجاح الصعب؟

- انه دخول جميل وكانت له ظروفه ومناسبته التي قد تتكرر، وقد لا تتكرر. ولكن يبقى الاساس في تواصل الانتاج الفني الذي يقدمنا الى الجمهور وأعتقد تحقيق هذا الحضور يلزمه الوقت والجهد والتعب والرعاية، والأهم، النتاج، وحين نجد من يتولاه تسهل علينا بقية الأمور.

■ وماذا عن غنائك في «مهرجان جرش» في الاردن؟

- كنت من ضمن فرقة كبيرة من طلاب معهد الموسيقى في جامعة الكسليك.. أدينا أغاني لبنانية تراثية وفولكلورية وموشحات وكان استقبال الجمهور لنا لافتاً.. ونزولاً عند رغبته، أعدنا الحفلة مرة ثانية.. الشعب الاردني يحب الفن اللبناني كثيراً، وعلى الرغم من ان الحفلة تعود لسنة ١٩٩٣ فالتلفزيون الاردني يواصل بثها باستمرار.

■ لماذا لم تشارك غادة شبير في «استديو الفن»؟ وهو البرنامج الذي اطلق الكثير من المواهب الفنية وجعل من اصحابها نجوماً ساطعة؟

- من الشروط التي يفرضها المعهد الموسيقي على طلابه عدم المشاركة في مباريات مماثلة لأنها تعتبر متعارضة مع العلم الموسيقي والفني الذي نتابعه. قناعتي كانت كبيرة باهمية وضرورة متابعة الدروس.. لا أنفي اني حدثت نفسي احياناً بضرورة وجودي في هذا البرنامج، لكني اليوم غير نادمة، خصوصاً بعد معرفتي بكيفية اختيار الهواة، وبأن المفاضلة بين واحد وآخر تستند الى أسس «مضحكة» لا علاقة لها بالفن.. ولن أتكلم أكثر!!

■ هل تقصدين ان اعتبارات الاختيار خارجة على قدرات الصوت؟

- بل حتى ليس للصوت اي اعتبار.. بعض تلاميذي يملك امكانات الموهبة الصوتية المدعومة بالعلم وكنت أتوقع نجاحهم، واذ بهم يستبعدون منذ الاختبار التجريبي الأول وقبل الصعود الى الشاشة.. وآخرون يستحيل وصولهم، واذا بهم يطيرون فوق السحاب.

■ ماذا تعني لك كلمة الوسط الفني؟

- لست أدري ماذا تقول لي؟ وهل انا في هذا الوسط أم لا؟ اصدقائي في هذا الوسط هم اساتذة وعازفون كبار، نعمل ونتعاون معاً.. في أعمالي ليس لدي صديق من الفنانين باستثناء الفنان نقولا الاسطا وكنا زملاء دراسة، وأنا أحترمه.

■ بمن تفخرين من أساتذتك؟

- أفخر بهم جميعاً، وخصوصاً الفنانة عايدة شلهوب لكونها استاذة متمكنة، كما افتخر بدراستي سنة متواصلة للمقامات الشرقية والاغاني القديمة على يد المايسترو توفيق الباشا، وذلك في سنتي الدراسية السابعة، وهذه الدراسة كانت منحة من الجامعة، نتيجة تفوقي في دروسي.

■ كيف تصفين حالتك الخاصة مع الغناء؟ وماذا تقول لك النجومية؟

- أغني لأني أحب الغناء وليس لارضاء الآخرين. اغني الكلمة واللحن بعد احساسي بجمالهما وبأنهما صحيحان، وأنا أضع نصب عيني ان جيلا آتياً سوف يتعرض بالنقد لموجة الغناء الحالية. اعمل بهدوء، ولا ارغب بأن أكون من ضمن المنتقدين لاحقاً.. صحيح ان الطريق المعاكس يربحنا المال لكنه لا يؤمن للأعمال الاستمرارية، وهذا لا يعني اني ضد العصرنة والموضة. لقد سجلت أخيراً اغنيتين عصريتين بتوزيع هارموني وبالتعاون مع فرقة موسيقية تضم آلات غربية كثيرة، منها البيانو والفيولون والغيتار.. اغنيتان من النمط الغنائي العصري المتقن والجميل، قد يحبه الجمهور، وقد لا يحبه، لكني شخصياً راضية عن عطائي.. والباقي نصيب.

■ هل تتوقعين يوماً جمع ثروة من الفن؟

- لا أظن أن الفن يؤدي الى الثراء. ربما أشياء أخرى نحققها، بينما الفن يأخذ الكثير ويعطي القليل، ويتطلب جهداً وتعباً متواصلين. ■ ■

تصوير: عدنان البرجي